الفيل في الغرفة
الاسلام وأزمة القيم الليبرالية في أوروبا

الكسندر بيتس

ترجمة: سميرة ابراهيم عبد الرحمن

ما أنفكت أوروبا تناضل من أجل ان تتغلب على المشكلات والمصاعب التي يُخلفها التدفق الهائل[1] للاجئين*، لا سيما مع وصول ما يربو على مليون طالب لجوء عبر البحر الأبيض المتوسط؛ جُلّهم تقريباً من المسلمين. أثرت هذه الحقيقة على الرأي العام والسياسي. ولكنها نادراً ما طُرِحت على بساط المناقشة بصراحة وبصدق. فهل تستطيع أوروبا ذات الثامن والعشرين بلداً مشاطرة مسؤولية عددٍ من اللاجئين أصغر مما يتحمله لبنان لوحدة**

* المقال منشور على موقع مجلة الفورين افيرز الأميركية (Foreign Affairs) على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) في ٢ شباط/فبراير ٢٠١٦.

–حمل المقال عنواناً رئيساً (الفيل في الغرفة **The Elephant in the Room**) وعنواناً فرعياً (الاسلام وأزمة القيم الليبرالية في أوروبا **Islam and the Crisis of Liberal Values in Europe**).

و(الفيل في الغرفة) عبارة إنجليزية مجازية (ليس ثمة مقابل لها فى الثقافة العربية) تعني ببساطة إغفال رؤية حقائق واضحة أمام أعيننا وتجاهل الحديث عنها أو مناقشتها رغم أن الجميع يراها ويشعر بها ويصطدم بها بشكل يومي فهي في ضخامة الفيل ووضوحه إذا تم وضعه فى غرفة صغيرة، لكن يظل التجاهل والإنكار هي الطريقة التي يختارها الجميع للتعامل مع تلك المشكلات لأنهم ببساطة يفضلون الهروب عن مواجهة حقائق يظنونها أكبر من قدرتهم على المواجهة. (المترجمة نقلاً عن غادة عبد العال **http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=08082010&id-)**

** الكسندر بيتس(**Alexander Betts**) هو أستاذ الهجرة القسرية والعلاقات الدولية في جامعة اكسفورد، كما يشغل منصب مدير مركز دراسات اللاجئين. يمكن متابعته على توتير **@alexander_betts** .

[1] **https://www.foreignaffairs.com/articles/western-europe/2015-09-14/truth-about-migrant-crisis**

*** توقعت صحيفة (واشنطن بوست) الأميركية استمرار التدفق غير المعتاد للاجئين والمهاجرين، واصفة هذا التدفق بانه أكبر هجرة الى القارة منذ الحرب العالمية الثانية. (المترجمة نقلاً عن جريدة المدى، ١٦ /٢٠١٥/٩ ، العدد ٣٤٥٨)

حالياً؟* والجواب بالطبع تستطيع فعل ذلك. فلا مجال لإنكار حقيقة ان معظم الدول الأوروبية تحتاج الى يد عاملة[١].

ان المعضلة الأساسية (The Elephant in the Room) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في الإسلاموفوبيا.** فالحقيقة المُجردة ان الدول الأوروبية لا تريد حقاً الترحيب[٢] بالمهاجرين المسلمين.*** وكان هذا واضحاً وما أنفك في حالة البلدان ذات الاحزاب اليمينية المتطرفة[٣] والدول الأوروبية المركزية ذات الحكومات القومية المسيحية[٤]. بيد ان النخب السياسية الليبرالية في أوروبا الغربية تجنبت قبول ان العائق الوحيد الأكبر امام سياسات هجرة ولجوء توصف بانها متماسكة، هو القلق العام من الاسلام.

ولا بد من القول ان الاحزاب اليمينية هي منَ تُذكي النار في الخوف من الأجانب وكرههم. مع ذلك، وفي أغلب الاحوال، يلتزم الأوروبيون، عبر بقية الطيف السياسي، الصمت إزاء هذه القضية.

---

* يوجد في لبنان وحده ١.٢ مليون لاجئ سوري في حين يصل عدد سكانه إلى ٤.٥ مليون نسمة. إذن استوعبت الدولة الأصغر بما يعادل مئة مرة من الاتحاد الأوروبي لاجئين بنسبة أكبر بخمسين ضعفاً مما استوعبه الاتحاد الأوروبي وسيستوعبه في المستقبل. (المترجمة نقلاً عن الغارديان

)http://www.theguardian.com/uk-news/2015/aug/10/10-truths-about-europes-refugee-crisis

[1] https://www.foreignaffairs.com/articles/2015-09-28/net-benefits

**ان شعور المسلمين بكراهية الأخرين لهم ولدينهم ينفر البعض منهم ويهمشهم، ويكون دافعاً للتطرف. فقد ذكرت الشبكة الأوروبية لمناهضة العنصرية ان هناك ارتفاعاً في مشاعر العداء ضد الإسلام والمسلمين. وقد واجه ذلك واحد من كل ثلاثة مسلمين خلال عام ٢٠١٤ وبعد احداث صحيفة تشارلي ايبدو في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥، ارتفعت حوادث الاسلاموفوبيا الى مستوى مخيف وزادت بنسبة ٥٠٠%، وسجلت ٢٢٢ حادثة خلال الربع الأول من عام ٢٠١٥ وترى تلك المنظمات التي تراقب الإسلاموفوبيا ان الإعلام يؤدي دوراً في تأجيج تلك المشاعر.) المترجمة نقلاً عن د. سعيد شحاته، بريطانيا بين المواجهة الداخلية والخارجية للارهاب، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٤، نيسان/ ابريل ٢٠١٦، ص ١٣٣)

[2] https://www.foreignaffairs.com/articles/europe/2015-11-11/lesbos-refugee-disaster

*** "مثلاً لا ينقل الإعلام أخبار قصص الكوميديا السوداء، ومثلما لا تصلكم اخبار ما تفعله الجيوش الأوروبية الديمقراطية حين تمسك ليلاً، في غابة عملاقة، مجموعة من البشر المذعورين، والمنقوعين بالمطر والجوع والبرد.شاهدت كيف ضرب جنود بلغار شاباً باكستانياً بالمسحاة حتى فقد وعيه. ثم طلبوا منا جميعاً ان ننزل في ذاك الزمهرير الى نهر شبه متجمد.هذا قبل أن يسلمونا الجيش التركي.(المترجمة نقلاً عن رواية لحسن بلاسم، معرض الجثث،منشورات المتوسط،ط،٢٠١٥، ص٢٢)

[3] https://www.foreignaffairs.com/articles/france/2015-12-14/no-right-turns

[4] https://www.foreignaffairs.com/articles/europe/2015-09-20/europes-hungary-problem

وبعد كل شي، لا يمكن ان تكون المشكلة في ان أوروبا تؤمن بانها غير قادرة على التعاطي مع تدفق المهاجرين. تاريخياً، كانت قادرة على التغلب على مشكلات ومصاعب التدفقات الواسعة للاجئين. فخلال الحرب الباردة، على سبيل المثال، انتقل الملايين من أوروبا الشرقية الى أوروبا الغربية هرباً من الشيوعية. وأعادت أوروبا توطين مئات الآلف من اللاجئين الفيتناميين في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. كما انها اخذت اعداداً كبيرة من المهاجرين من البوسنة وكوسوفو في تسعينيات القرن الماضي من ضمنهم الكثير من المسلمين – ولكن ذلك قبل ان يصبح الاسلام مؤذٍ سياسياً. كما انه كان وما برح ثمة الكثير من التشكيك السياسي إزاء اولئك الفارين من النزاعات في افغانستان والعراق والآن سورية.

مؤخراً، غيّر الهجوم الارهابي[1] في باريس*، والتقارير عن الاعتداء الجنسي والسطو في

كولونيا*، لعبة اللجوء في أوروبا. ففي كولونيا، وفي عشية رأس السنة الجديدة، نقلت أكثر من مئة امرأة وفتاة بان عصابات من الرجال قد اعتدوا عليهن، وحددت السلطات هوية المهاجمين على انهم من شمال افريقيا أو انهم عرب. وتم الربط مباشرة باللاجئين السوريين فجاءت ردة الفعل سريعة** – حتى في المانيا الصديقة نسبياً للاجئين، وتغير الرأي العام

[1] https://www.foreignaffairs.com/articles/france/2015-11-17/frances-perpetual-battle-against-terrorism

* عرفت العاصمة الفرنسية باريس مساء الجمعة ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٥، سلسلة هجمات دموية متزامنة في ستة مواقع مختلفة، أسفرت عن مقتل ١٢٩ شخصاً على الأقل، وإصابة قرابة ٣٥٢ آخرين، أعلن على إثرها الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند حالة الطوارئ في البلاد ودعا الجيش للنزول إلى الشارع للمساهمة في حفظ الأمن. (المترجمة نقلاً عن http://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2015/11/15)

* تعرضت ما يقارب من مئة امرأة لاعتداءات جنسية في مدينة كولونيا الالمانية ليلة الاحتفالات برأس السنة (٢٠١٦). وتشير المعطيات الأولية، وفقاً لما ذكره مسؤول في الشرطة، أن المتورطين فيها هم من اللاجئين. (المترجمة نقلاً عن http://www.france24.com/ar/20160106)

** إعلنت بولندا وجمهورية التشيك والمجر وسلوفاكيا، على اثر اعتداءات كولونيا، أن اللاجئين، لا سيما المسلمين منهم، يمثلون خطراً، وأكدت هذه الدول على أنها قالت ذلك دائماً. وبات من المستحيل تماماً الاتفاق على توزيع معقول للاجئين= =في الاتحاد الأوروبي كله بعد ان كان، قبل الاعتداءات، ثمة عدم الاتفاق بشأن سياسة اللجوء الأوروبية. (المترجمة نقلاً عن يرند ريغرت الخبير في الشؤون الأوروبية في مؤسسة DW على موقع http://www.dw.com/ar

بخصوص اللاجئين. بعض البلدان لم تذهب بعيداً في رد فعلها كما فعلت سلوفاكيا التي قالت انها ترحب باللاجئين المسيحيين فحسب، ولكنه ثمة خوف ضمني من ان يقود الاسلام صناعة السياسة الأوروبية.

وللحديث بصراحة وبشكل أوسع، فان سياسيو أوروبا اخفقوا في رسم ملامح رؤية حول الكيفية التي ينبغي ان يفكر بها مواطنيهم بالاسلام في أوروبا أو فك التباس مصلحات مثل "اللاجئين" و "المهاجرين" *عن "الارهابيين" و"المجرمين". واختلطت ردود الفعل الأوروبية واتسمت بالرياء والتزمت الكثير من البلدان بترحيل عشرات الآلآف حتى مع علمها ان ذلك غير عملي لوجستياً. إذ جَبُن السياسيون عن قول أي شيء محدد عن الاسلام والاندماج خشية الاتهامات الانتخابية المضادة أو الخوف من الاعلام. والسياسات التي صدرت في ارجاء أوروبا[١] التي تناقض أساساً القيم الليبرالية.

احصائياً، ليس ثمة احتمال كبير بان اللاجئين سيتورطون[٢] في اعمال ارهابية أو في الجريمة أكثر من السكان المحليين بيد ان التصور النمطي هو ما يهم. "فالتجربة" الالمانية في الهجرة المفتوحة تقع تحت تهديد نمط مؤلوف: حادثة سلبية تظهر تجر اللاجئين الى مسرحها مورطة اياهم، فينقض الاعلام بدوره ويهاجم، ويروح اليمين يعبأ هذه الحادثة قاطفاً ثمار ذلك، ويقترب اليمين الوسط من التشديد على الحدود.

ان تراجع السياسات الوسطية في أوروبا أدى دوراً في جعل من العسير بمكان كسر هذه الصورة النمطية. إذ يرى سياسيو احزاب الوسط ان حصتهم في التصويت قد تراجعت. ففي المملكة المتحدة، على سبيل المثال، تشبه الآلية بين زعيم المعارضة جيريمي كوربيون[٣] **Jeremy Corbyn** ورئيس الوزراء المحافظ ديفيد كاميرون المناخ السياسي الاستقطابي لثمانينيات القرن الماضي حينما كانت ماغريت تاتشر رئيسة للوزراء. ان اخفاق الوسط في ايجاد أجوبة شافية ومقنعة حول قضايا مثل العولمة والهجرة والاندماج كان وما أنفك ، في

---

[1] ttps://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2016/01/25/the-ever-expanding-list-of-european-policies-that-target-refugees
[2] https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2015-12-09/dont-fear-refugees
[3] https://www.foreignaffairs.com/articles/united-kingdom/2016-01-27/left-and-gone

جزء منه، السبب في تراجعه ورسم ملامحه. وهكذا يعزف اليسار على وتر الاندماج غير المشروط في لغته الخطابية، في حين يلعب اليمين في خطاباته بورقة الامن. وقد افضى الاستقطاب الى ندرة في اللغة التي يستطيع عن طريقها السياسيون المعتدلون التعبير عن الكيفية التي ينبغي فيها للأوروبيين التفكير في الاسلام واللاجئين والهجرة. يتحتم ان تكون نقطة الانطلاق افصاح واضح عن القيم الليبرالية والتأكيد عليها.

أساساً، تقوم أوروبا على ايمان مشترك بالحرية الفردية. وعليه، شمِلت القيم الأوروبية على مدار التاريخ الالتزام بحقوق الانسان، والديمقراطية، والمساواة بين الجنسين وحرية التعبير، وحرية اللجوء وما انفك يؤمن جلّ الأوروبيين في هذه القيم ولكنهم يضعونها موضع تطبيقٍ سيئ.

اولاً: ينبغي ان يتفادى الأوروبيون الركون الى الانخراط بالعقاب الجماعي. ففي مدينة بورنهايم في المانيا، حُظر على جميع اللاجئين من الذكور الراشدين استخدام حمامات السباحة العامة[1] بعد تقارير تحدثت عن اعتداء جنسي. ينبغي ان يكون هذا النوع من السياسة غير مقبول. فمن نافل القول ان الذين يهاجرون الى أوروبا يتحتم عليهم التمسك بقوانينها واعرافها الاجتماعية. ولكن ينبغي محاكمتهم ومعاقبتهم –كافرادٍ وليس جماعات.

ثانياً: ينبغي على أوروبا الاّ تتردد في التزامها بحرية الدين. ففي أي مجتمع ليبرالي، يتحتم السماح للناس الايمان بما يختارونه. مع ذلك، تكون الكثير من السياسات الأوروبية تمييزية فيما تحمله من مضامين؛ ففي كارديف، أجبرت المملكة المتحدة طالبي اللجوء ارتداء اساور حمراء* في كل الاوقات[1] – وهي سياسة ذات مثيلات تاريخية مروعة.**

---

[1] https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2016/01/15/no-asylum-seekers-allowed-in-german-citys-public-pool-because-of-sexual-assaults

* أجبرت شركة "كليرسبرنغس" التي تدير مركزاً لاستقبال طالبي اللجوء في كارديف, في منطقة ويلز غربي بريطانيا, طالبي اللجوء الجدد على لبس سوار أحمر, مهددة من رفض لبسه بحرمانه من الغذاء. ونهجت هذه الشركة المتعاقدة مع وزارة الداخلية هذه السياسة منذ أيار/مايو (٢٠١٥), وأعلنت وقفها يوم الاثنين الموافق ٢٥ كانون الثاني/يناير ٢٠١٦ بعد أن انهالت الانتقادات عليها متهمة إياها بالتمييز العنصري ضد فئة ضعيفة. وتمكن الأساور الحمراء حامليها العاطلين عن العمل بسبب عدم توفرهم

ثالثاً: على أوروبا ان تفعل أفضل ما بوسعها لدعم حرية التعبير. فوسم فكرة بانها "متدينة" لا يجعل منها مقدسة الى أبعد حد، وفوق النقاش والنقد. وعلى الرغم من ان خطاب الكراهية يتجاوز الحدود بحيث يحتاج الى ضبط ولوائح فانه إساءة بحد ذاته لا ينبغي تجريمها. فالصورة التي نشرتها صحيفة تشارلي ايبدو لايلان كردي، الطفل السوري ذي الثلاثة اعوام الذي مات غرقاً في البحر الابيض المتوسط على انه يكبر فاسقاً اثارت العنف والغضب. إلا ان نية الصحيفة كان الهجاء: السخرية من اولئك الذين يؤمنون بان كل اللاجئين السوريين هم من المتحرشين جنسياً. علاوة على ذلك، ينبغي على كل السياسيين مقاومة إغراء تقييد حرية التعبير في المحافل الجامعية. ففي المملكة المتحدة، على سبيل المثال، يشمل قانون مكافحة الارهاب[٢] اجراءات مضللة تسمح للكليات حظر المتحدثين المتطرفين من الحضور الى الكلية للتعبير عن ارائهم.*

اخيراً، يجب ان تحمي أوروبا حق اللجوء. عليه، يتحتم ان يُعبر السياسيون الأوروبيون تعبيراً واضحاً لماذا يكون اللاجئون فئة مميزة ومتميزة من المهاجرين. راحت المانيا تقترح ترحيل اولئك المهاجرين الذين ارتكبوا جرائم تتعلق بكولونيا. يكون هذا ملائماً، بشرطٍ واحدٍ وهو إلاّ يتم ترحيل اللاجئين الى البلدان حيث يواجهون اضطهاداً. وتملي القيم الأوروبية ان أياً ما يفعله شخصٌ ما، فلا ينبغي ان يخضع أحدٌ ما الى الاضطهاد او التعذيب

على رخص والذين لا يحظون بمساعدات مالية, من الحصول على ثلاث وجبات غذائية يومياً. (المترجمة نقلاً عن نجلاء حبريري، جريدة الشرق الأوسط ، ٢٦كانون الثاني/ يناير ٢٠١٦ ، رقم العدد (١٣٥٧٣))

[١] http://www.theguardian.com/uk-news/2016/jan/24/asylum-seekers-made-to-wear-coloured-wristbands-cardiff

** استعملت نجمة داود من قبل النازية أثناء الهولوكوست، إذ إجبر النازيون في تشرين الثاني/نوفمبر١٩٣٩ اليهود على وضع شارة صفراء على شكل نجمة داود على ملابسهم بغية التعرف عليهم وتمييزهم، ومعاقبة كل من يخالف ذلك.(المترجمة نقلاً عن (http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/Holocaust/badges.html

[2] https://www.foreignaffairs.com/articles/united-kingdom/2015-08-05/united-kingdoms-extreme-anti-extremism-policy

* خلال العام ٢٠١٤، تمت دعوة ٧٠ متحدثاً لالقاء محاضرات في الجامعات البريطانية لديهم افكار متطرفة وكراهية . (المترجمة نقلاً عن د. سعيد شحاته، بريطانيا بين المواجهة الداخلية والخارجية للارهاب، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٤ ،نيسان/ ابريل ٢٠١٦، ص ١٣٣)

او المعاملة القاسية واللانسانية والمُهينة. مع ذلك، ثمة نقاش مفتوح بوتيرة متصاعدة بشأن ترحيل اللاجئين، وان الدول الأوروبية تبنت سياسات تتسم بصرامة أكبر لردع طالبي اللجوء، منها قرار الدنمارك[١] في ان تنكر على اللاجئين حقهم في الملكية وان تفرض قيود زمنية على لمّ شمل اللاجئين.

لا ريب ان التهديدات الامنية[٢] التي تواجه أوروبا تكون حقيقية. إذ تهدد الدولة الاسلامية المزعومة (المعروفة أيضا بداعش) والجماعات الارهابية الاخرى حياة الناس وقيمهم. فالكثير من اللاجئين القادمين الى أوروبا هم انفسهم فروا من العنف الذي سببه داعش.

والسبيل لمواجهة التحديات الأمنية يكون عن طريق تحسين الاستخبارات والعدالة الجنائية وليس عن طريق فرض القيود على حق اللجوء. فقد تفادت المملكة المتحدة أي هجوم ارهابي على ارضها في بحر العقد المنصرم ومرد الامر الى تفوق اجهزة استخباراتها وليس بسبب سياسات الهجرة التي تنتهجها. ان دعم هذه الاجهزة بدلاً من تقويض القيم الليبرالية هو الرد الافضل[٣] على الارهاب. والتساؤل الأخير الاصعب الذي قد يطرحه الأوروبيون هو: هلى يتوافق الاسلام مع القيم الأوروبية. الجواب عموماً، نعم. في صياغة السياسات، على الزعماء الاوروبيين ان يكونوا حكماء في عدم رؤية الاسلام بوصفه متعارض مع الليبرالية بل العمل مع الزعماء الدينيين لتأكيد انه ليس كذلك.

وتبقى التساؤلات المطروحة عن ادارة الهجرة وسياسة الاندماج[٤] هموماً اجتماعية مشروعة ولكن يجب معالجتها عن طريق نقاش واعٍ وعقلاني.* وإزاء هذا التفكير المشوش

---

[1] http://www.aljazeera.com/news/2016/01/denmark-urged-reject-cruel-refugee-laws-160121045329929.html

[2] https://www.foreignaffairs.com/articles/france/2015-11-15/isis-big-mistake

[3] https://www.foreignaffairs.com/articles/2015-12-01/terrorist-attacks-are-strategic

[4] https://www.foreignaffairs.com/articles/western-europe/2015-12-08/europes-dangerous-multiculturalism

* لايمكن إلقاء تبعات الفشل على المسلمين في أوروبا سواء من الجيل الأول او الثاني بمنأى عن أي مسؤولية مجتمعية من الدول الأوروبية ذاتها. ذلك ان هذه الدول هي الحاضنات الأم التي تمتلك كل المقومات الحياتية، وصاحبة الأرض، والقادرة على طرح المبادرات التي تجمع ولا تفرق، وتستطيع كذلك ان تشرح أصول واولويات الحياة في تلك البلدان من دون تجرح للخلفيات الثقافية

والمتنافر، تحتاج أوروبا الى سياسة وسطية جديدة. يتحتم ان تكون قائمة على الليبرالية وتجاوز ارهاب الاجانب الذي يشعر به اليمين المتطرف والنسبية الاخلاقية[1] لدى اليسار المتطرف. وتستند قوة الوسط الى قدرته لاظهار طرق عملية ليجتاز سياسات الخوف الناشئة في أوروبا. حينذاك فقط ستكون أوروبا قادرة على تلمس طريقها بصراحة ونزاهة مع كيفية التعاطي مع اللاجئين والهجرة في عالم متغير.

للمسلمين . ثم انها الوقت نفسه صاحبة المؤسسات الدينية المؤهلة لتقديم رؤية عن معنى التسامح الخلّاق في المسيحية السائدة أوروبياً ، حتى وإن كانت أوروبا علمانية الهوية . وفي كل الاحوال هي صاحبة الكلمة الأمنية الفصل في مواجهة تطرّف اليمين الأوروبي وغلوائه العنصرية، واللذين يزدادان قوة. (المترجمة نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط ، "المسلمون امام تحدي الاندماج في مجتمعات أوروبا وأميركا" ، ١١كانون الثاني/يناير ٢٠١٦ ، رقم العدد ١٣٥٥٨)

[1] **https://www.foreignaffairs.com/articles/western-europe/failure-multiculturalism**